الرسالة

(أعمال الرسل ٥: ١٢–٢٠)

في تلك الأيامِ جَرَت على أيدي الرسلِ آياتٌ وعجائبُ كثيرةٌ في الشعب. وكانوا كلّهم بنفسٍ واحدةٍ في رواقِ سليمان* ولم يكن أحدٌ من الآخرين يجترئُ أن يُخالِطَهم. لكن كان الشعبُ يُعظِّمهم* وكان جماعاتٌ من رجالٍ ونساءٍ ينضمُّونَ بكثرةٍ مؤمنينَ بالرب* حتى إنَّ الناسَ كانوا يخرجونَ بالمرضى إلى الشوارعِ ويضعونَهم على فُرُشٍ وأسِرَّةٍ ليقعَ ولو ظِلُّ بُطرسَ عند اجتيازهِ على بعضٍ منهم* وكان يجتمع أيضاً إلى أورشليمَ جمهورُ المدنِ التي حولها يحمِلون مرضى ومعذَّبينَ من أرواحٍ نجسة. فكانوا يُشْفَون جميعُهم* فقام رئيسُ الكهنةِ وكلُّ الذين معه وهم من شيعةِ الصَّدوقيينَ وامتلأوا غَيرةً* فألقَوا أيديَهم على الرسُلِ وجعلوهم في الحبسِ العامّ* ففتح ملاكُ الربِّ أبوابَ السِّجنِ ليلاً وأخرجهم وقال* أمضُوا وقِفوا في الهيكلِ وكلّموا الشعبَ بجميعِ كلماتِ هذه الحياةِ.

شك توما

غَلَبَت العادة أن يُنظَرَ إلى موقف القديس الرسول توما، إزاء قول التلاميذ له أنّهم قد رأوا الرب، على أنّه موقف تشكيك بقيامة الربّ أو على الأقل موقف عدم إيمان. لا سيّما بالنظر إلى كلمات الربّ القائم له «ألأنّك رأيتني آمنت؟ طوبى للذين آمنوا ولم يَرَوا» (يو ٢٠: ٢٩). الرسول توما لم يكُن وحده مَنْ تردّد في اقتبال بشارة قيامة المعلّم. «فلمّا رأوه سجدوا له، لكنّ بعضهم شكّوا»، يقول الرسول متّى في أواخر إنجيله (مت ٢٨: ١٧). وفي ظهوره لتلميذي عمواس (لو ٢٤: ١٥–١٦) وبّخهما الربّ صراحة على غلاظة قلبيهما وقلة إيمانهما بكلّ ما قيل عنه في الكُتُب. لعلّ الرسول توما وحده كان «جريئاً» في تردّده إزاء كلام التلاميذ رفاقه، ولا نغالي إن شبّهنا تردّده بتردد العذراء مريم إزاء كلام الملاك لها يوم بشّرها بالحبل الإلهي (لو ١: ٢٩ و ٣٤).

لا شيء في سياق النص الإنجيلي يشير إلى أن الرسول توما لامس بالفعل جراح الرب. بل إنه وما إن عاين السيد أمامه بعد القيامة حتى انفتحت عينا قلبه، فرأى ما لا يُرى إلا بالإيمان وما عاد محتاجاً إلى التيقن عبر حواس الجسد. ما طلبه من قبل، كان بسبب ضُعف الطبيعة البشرية لا سيّما إزاء حدث بضخامة حدث قيامة المعلّم من الموت. هو ضعف الطبيعة التي وإن كانت تشتهي أن تصدّق، لكنها ما زالت في الظلام (راجع يو ٢٠: ١ و١٣–١٥). أما إعلانه الصارخ أمام الرب «ربّي وإلهي» فينتمي إلى الطبيعة البشرية الجديدة، أي التي تجدّدت بعدما أمات المسيح على الصليب ضعفها وردّ لها بقيامته الكرامة. حتى اشتراط توما، من قبل، أن يلامس جراح السيد بيده ليؤمن، ليس من باب الشك بقدر ما هو شوق إلى الاستزادة من الإيمان. نتذكّر هنا ذاك الرجل المتوجّع على ابنه المريض عندما قال للرب يسوع «أومن يا سيد فأعن عدم إيماني» (مر ٩: ٢٤).

معلوم أن الإنجيل ليس كتاب سرد روائي ولا تأريخاً لحياة الرب يسوع على الأرض. عليه فإن إيراد الإنجيلي يوحنا لحادثة توما ليس لمجرّد السرد بل هو إنباء بما ستكون عليه حال المؤمنين ما بعد قيامة السيّد وصعوده إلى السماء، وحتى انتهاء الدهر. أما الشهود الأولون، أي الذين عايشوا

العدد ٢٠١٥/١٦

الأحد ١٩ نيسان

أحد توما

تذكار الشهيد في الكهنة بفنوتيوس

اللحن الأول

إنجيل السَحَر الأول

السيّد ورافقوه ورأوا مجده الإلهي في تعاليمه وآياته وحتى صلبه وقيامته، فقد شاء الربّ أن يكونوا هم المختارين لمعاينته قائماً من الموت مُمَجَّداً، وأن يكون من بينهم مَنْ آمنوا فوراً ومَنْ شكّوا ثم آمنوا. أي أن يكونوا هم، في التاريخ، نقطة انطلاق الإيمان المسيحي وحياته في الكنيسة. في كافة ظهوراته بعد القيامة كان الرب هو المُبادِر، وفي معظمها لم يعرفه التلاميذ في بادئ الأمر. وكما هو بادر بالظهور، هو كان دوماً المبادر في تحريك إيمانهم، وعندها فقط كانوا يعرفونه. بمعنى آخر، حتى معاينته قائماً لم تكن تكفي، من دون الإيمان. أما المؤمنون ما بعد العصر الرسولي، أي ما بعد زمان الذين أُعطي لهم ذاك الاتصال المباشر بالمسيح القائم من الموت، فهؤلاء لم يروا المسيح قائماً ولكنّهم يعرفون أن التلاميذ الأطهار قد رأوه. بمعنى آخر، ليس المهم أن يظهر لك المسيح قائماً بل أن تفهم أنت، يقيناً، معنى ظهوره قائماً، أو بشكل أبسط المعنى الحقيقي لقيامته. هذا الفهم اليقيني لا يتحقّق إلا عبر عَيش حياة الكنيسة أي تلقّي بُشرى الخلاص في الإنجيل والتفاعل معها. أي معاشرة المسيح الذي ما زال يكشف عن نفسه من خلال ما ينقله إلينا الشهود الأولون (ومن هنا أهمية ظهوره قائماً للشهود الأولين). المسيح القائم من الموت، الذي رآه التلاميذ الأولون قائماً من الموت هو نفسه الحاضر معنا الآن والباقي معنا إلى انقضاء الدّهر (متى ٢٨: ٢٠) ولكن من خلال كنيسته التي هي بالفعل جسده واستمرار حضوره الحسّي في العالم، وهي في الوقت عينه مكان اللقاء –وجهاً لوجه – بالمسيح عند كَسر الخبز (لو ٢٤: ٣٥).

طوبى للذين لم يروا وآمنوا

المسيح قام من بين الأموات وقد احتفلنا في الأسبوع المنصرم بهذا النصر الذي حقّقه على الموت. لم تعلَن القيامة إلاّ في ظهوراتٍ منفردة للتلاميذ والنسوة، ثم للرسل مجتمعين باستثناء توما. في هذا الأحد المعروف بأحد توما نذكر قول السيد لتلميذه: «طوبى للذين لم يروا وآمنوا».

لم يكن قول السيّد هذا مجرّد تبكيتٍ لتلميذه لعدم الإيمان. عند الظهور الأول للتلاميذ المجتمعين «أراهم يديه وجنبه» (يو ٢٠: ٢٠) لعلمه أنّ طبيعة الإنسان لن تسمح له بفهم ما يفوق الطبيعة، أي قيامة ميتٍ من الأموات بسلطانه الذاتي. لقد أراد السيّد أن يظهر قيامته بالمعاينة ليتيقّن التلاميذ منها. لذا ليس مستغرباً أن يُظهر هذا الأمر لاحقاً لتوما الذي كان غائباً عن الإجتماع الأول.

يحمل هذا القول بُعدين مهمّين: البُعد الآنيّ والبُعد المستقبلي. أمّا البُعد الآنيّ فيرتبط بالأحداث التي رافقت قيامة السيّد. اليهود أرادوا أن يكذّبوا القيامة فقاموا برشوة الحرّاس ليقولوا إنّ التلاميذ سرقوا الجسد. هكذا، انتشرت شائعةٌ تقول إنّه لم يقم. إلّا أنّ كثيرين آمنوا لاحقاً بالقيامة رغم هذه الشائعة ومن دون أن يروا بأمّ العين المسيح القائم.

أمّا البُعد المستقبلي فمتعلّقٌ بالأجيال اللاحقة التي آمنت ولا تزال على إيمانها بأنّ المسيح قد قام، من دون أن تعاين الأمر. فطوبى لمن لم يرَ الجسد القائم بل آمن من خلال ما قرأه في الكتاب

الإنجيل

(يوحنا ٢٠: ١٩–٣١)

لما كانت عشيَّةُ ذلك اليومِ وهو أولُ الأسبوعِ والأبوابُ مُغلقةٌ حيث كانَ التلاميذُ مجتمعيَن خوفاً من اليهود جاء يسوعُ ووقف في الوسْطِ* وقال لهم السلامُ لكم* فلما قال هذا أراهُم يديهِ وجنبَه. ففرح التلاميذُ حين أبصروا الربَّ* وقال لهم ثانيةً السلامُ لكم كما أرسلني الآبُ كذلك أنا أرسلُكم* ولما قال هذا نفخ فيهم وقال لهم خُذوا الروحَ القدس* مَن غ فَرتم خطاياهم تُغفَر لهم ومن أمسكتم خطاياهم أُمسِكَتْ* أما توما أحدُ الإثنَيْ عَشَرَ الذي يقالُ له التوأم فلم يكن معهم حين جاءَ يسوع* فقال له التلاميذُ الآخرونَ إنَّنا قد رأينا الربَّ. فقال لهم إن لم أعايِنْ أثَرَ المساميرِ في يديهِ وأضع إصبعي في أثر المسامير وأضَعْ يدي في جنبهِ لا أؤمن* وبعد ثمانيةِ أيامٍ كان تلاميذهُ أيضاً داخلاً وتوما معهم فأتى يسوعُ والأبوابُ مُغلَقةٌ ووقفَ في الوسْط وقال السلامُ لكم* ثم قال لتوما: هات إصبعك إلى ههنا وعاين يديَّ وهاتِ يدك وَضَعْها في جنبي ولا تكنْ غيرَ مؤمنٍ بل مؤمناً* أجاب توما وقال له: ربّي

وإلهي* قال له يسوع: لأنكَ رأيتَني آمنتَ، طوبى للذين لم يَرَوا وآمنوا* وآياتٍ أُخَرَ كثيرةً صنع يسوعُ أمام تلاميذه لم تُكتَب في هذا الكتاب. وأمَّا هذه فقد كُتبت لتؤمنوا بأنَّ يسوع هو المسيحُ ابنُ الله. ولكي تكونَ لكم إذا آمنتم حياةٌ باسمه.

تأمل

«... وصُلب وقُبر وقام في اليوم الثالث...».

ليكن إيماننا ثابتاً. فليسقط الذين يسقطون بجحدهم، بما أنهم يريدون ذلك. أما أنت، فاثبت على صخرة الإيمان بالقيامة، ولا تترك هرطوقياً يقنعك بالتجديف على القيامة. إذ هم لا يريدون أن يسمعوا إلى بولس الذي كتب: «إن كان المسيح لم يقم فكرازتنا إذاً باطلة، وإيمانكم أيضاً باطل، بل أضحينا شهود زور لله، لأنّا شهدنا على الله بأنه أقام المسيح، وهو لم يقمه» (١كور١٥: ١٤-١٥)، وأضاف بعد ذلك: «إن المسيح قد قام من بين الأموات باكورة للراقدين... وإنه يتراءى لكيفا ثم للإثني عشر» (١ كور ١٥: ٢٠، ٥). إن كنت لا تؤمن بشهادة واحدة فلديك إثنا عشر شاهداً، ثم «تراءى لأكثر من خمسمئة معاً» (١ كور ١٥: ٦). فإن كانوا لا يؤمنون بالإثني عشر، فليقبلوا شهادة الخمس مئة. «ثم تراءى ليعقوب» أخيه، أول أسقف لكنيسة المقدّس وما سمعه من ترانيم كنسيّة تخبر عن قيامة السيّد.

لقد أظهر السيّد قدرته أكثر من مرّة وآمن به أشخاصٌ كثيرون من خلال العجائب التي فعلها. لم تكن إقامة لعازر بعد أربعة أيام، أي بعد أن أنتن جسده، آخر العجائب التي فعلها. إلّا أن الخوف، وغياب المعزّي الذي يشدّد الإيمان، كان يُفقد الأشخاص إيمانهم عند نسيان ما قد عاينوه. المجانين آمنوا والكُسح والعميان أيضاً إلاّ أنّ إيمان المعاينين لهذه العجائب لم يثبت. بطرس نفسه لم يثبت في إيمانه بل أنكر السيّد خوفاً من اليهود. قائد المئة آمن عندما رأى عجائب الطبيعة ساعة موت السيّد على الصليب ولم يحتج ذلك المغبوط إلى معاينة القيامة ليعترف بأنّ المصلوب كان حقًّا ابن الله. أمّا توما التلميذ الذي عاين كلّ تلك المعجزات وسمع السيّد مُنبئاً عن قيامته، فلم يصدّق قول الرسل بل أراد أن يرى بعينيه كما رأوا هم.

السؤال المطروح في حياتنا اليوم هو: هل نكون من المطوّبين فنؤمن بالقيامة؟ هل نضع ذواتنا بين الأشخاص الذين سبق فقال عنهم السيّد إنّهم مطوّبين لإيمانهم عن غير معاينة؟

إنّا لنا اليوم آيات ومعجزات أكبر من المعاينة المباشرة. لنا روح الحقّ الذي أرسله لنا الإبن بعد صعوده إلى السماء. الروح القدس الذي قبل حلوله تفرّق التلاميذ خوفاً عند اعتقال السيّد، واختبأوا في عليّةٍ خوفاً من اليهود بعد قيامته. هذا الروحُ هو العاضد لنا والمثبّت لنا في الإيمان. كما ثبّت الروحُ التلاميذ بعد العنصرة فلم يخشوا الصلب والجلد والإضطهاد، يثبّت اليوم المؤمنين في الإيمان.

يوم صلاة

في الذكرى السنوية الثانية لاختطاف المطرانين بولس يازجي ويوحنا ابراهيم خصصت الكنيسة الأنطاكية الأرثوذكسية يوم الأحد ١٩ نيسان ٢٠١٥ (الأحد الجديد) ليكون يوم صلاة في كافة كنائس انطاكية في الوطن والإنتشار، من أجل عودة المطرانين إلى أبرشيتيهما وسائر المخطوفين إلى ذويهم.

وقد صدر عن بطريركتي انطاكية وسائر المشرق لكنيستي الروم الأرثوذكس والسريان الأرثوذكس بياناً مشتركاً جاء فيه: «بولس ويوحنا في محاكمة. وقفا مرّة في بداية البشارة المسيحيّة، ويقفان مرّة أخرى اليوم، في البقعة الجغرافية عينها، وإن اختلفت التسميات. إنّها محاكمة قلّ نظيرها، ليس فقط في الشرق، بل في عالمنا المعاصر. ارتداداتها لم تصبْ الأرضيين فقط، بل أقحمت السماء أيضاً، في نزال الغلبةُ فيه للديّان العظيم، الذيّ له الحكم الأخير في هذه القضية، قضية الإنسان الحقّ وقضيّة الإله الحقّ.

لربّما هذه المحاكمة غير متكافئة، فأغلب الظنّ أنّ الموقوفَين لا يسعهما المرافعة في قضيّتهما. ولكن هوذا خطابُهما البيّن، وقد سطّراه بروحَيهما وحياتهما وشهادتهما المستمرّة دون انقطاع، يصدح ويتردّد في برّيّة هذا العالم:

... يا إخوةَ الإيمان، نُمتحن بما آمنّا به وبشّرنا به وخدمناه باليد والقلب والضمير: أننا نعيش اليوم على الأرض لنحيا بعدها في السماء، وأنّ الإنسان يحقّ له أن يؤمن بالإله الحقّ ويخدم بهذا الإيمان «قريبه كنفسه». إيماننا بالإنسان الحقّ يدفعنا إلى خدمته أينما حللنا، ولا زلنا حيث نحن

اليوم مقيمون. لن نحيد عن هذا العزم قيد أنملة وهو يستحقّ منّا كلّ تضحية دفاعاً عن كرامة هذا الإنسان بتقزيمه وتشييئه في سوق الإنسانية المعاصر الذي يعرضه سلعة في مضاربات أثيمة. بهذا انكسرت شوكة التقزيم الرخيصة في محاكمة الكرامة.

يا إخوةَ الرجاء، لا يخفَ عليكم أنّه إنّما نُحاكَمُ على «رجاء قيامة الأموات» (أع ٢٣: ٦). صرخها بولس مرّة، وها نحن نقولها بالفم الملآن: يريدون أن يفتكوا بالآتي على حساب الآني، وهم لا يعلمون أنّ ربّ السماء والأرض إنّما خلق هذه وتلك لنقطع المسافة التي تفصل بينهما بروح الإيمان ونبلغ إليه بما أوتينا من رجاء بتحقيق وعده لنا. إنّ هذه الحياة لفانية وأمّا تلك فباقية، ونحن نرنو بكلّ جوارحنا أن تبقوا على هذا الرجاء أمام الموت الرابض إزاء أجسادكم وأرواحكم ليهلكها. إلّا أن رجاءنا بقيامة المسيح قد كسر شوكة الموت في محاكمة الثبات.

يا إخوةَ المحبَّة، لا شكّ أن انتصابنا في محاكمة كهذه لا يستقيم إلّا إذا انبرى لها المرء بحقيقة هويّته وإيمانه. لذا يعزّ علينا أن نخون محبّة المسيح لنا، ويعزّ علينا أيضاً أن تَظلُم القلوب والضمائر إلى درجة يسهل معها انتهاج درب النزوات وكلّ أشكال الأنانيّة البغضية. نراكم يا إخوة فتثلج قلوبنا بمرأى محبّتكم وسط ركام إنسانيّة انحدرت بها وصوليّتها إلى أبواب الجحيم بكلّ ما للكلمة من معنى. بالمحبّة تغلبون كلّ شيء، وبها تجتازون كل أشكال الموت إلى ملكوت إله المحبّة. وسط الدمار والموت والعبث، يعلو بناء محبّتكم كحكْم مبرَم في محاكمة الضمير.

... يا إخوةَ الإنسانيّة، باتت قضيّتنا أبعد من جماعة، وأكبر من وطن، وأوسع من منطقة. محكّنا هو محكّ الإنسانيّة في عالمنا المعاصر، بحكم تشويهها، خدمةً لمصالح ومآرب متنوّعة. نحن شاكرون لكثيرين ممن يعون هذه المخاطر ويعملون على احتوائها ومعالجتها ودرئها. لن نتحوّل عنواناً لقضيّة يُطالب بحلّها وفكّ أحجيتها، فلسنا كذلك. فأنتم قضيّتنا! نحن ساهرون من مكان إقامتنا على ضمائر الذين يريدون الاستمرار بالفتك بقضيّتنا: قضيّة الإنسان الحقّ وقضيّة الإله الحق. ألا يُعقل أن تنقلب الأدوار، فيصير المحكوم عليه قاضياً ولو كان في زنزانة، والقاضي محكوماً عليه وإن كان على منبر؟

... هذا هو انتصار يمين العليّ، بكم وبنا! أمّا ملتقانا المستديم فهو في الصلاة من أجل الكلّ، نرفعها معكم إلى الذي له المجد والقدرة والسجود والملك إلى الأبد! آمين».

عيد القديس جاورجيوس

بمناسبة عيد القديس جاورجيوس يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة صلاة الغروب عند السادسة من مساء الأربعاء ٢٢ نيسان والقداس الإلهي عند العاشرة من صباح الخميس٢٣ نيسان في كاتدرائية القديس جاورجيوس.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb

أورشليم. «وآخر الكل تراءى لي أنا بولس عدوّه» (١ كور ١٥: ٥–٦). مَن يرفض شهادة يدلي بها عدوّ؟ «أنا الذي كان من قبل مضطهداً» (١ تيمو ١: ١٣)، أبشر الآن بالقيامة.

كثيرون هم شهود قيامة المخلّص: الليل وضوء القمر التام، صخرة القبر الذي حواه، والحجر الذي خُتم أمام اليهود، لأنه رأى الرب، الحجر الذي دُحرج عندئذ (متى ٢٨: ٢) يشهد بالقيامة، وهو لا يزال قائماً هنا حتى الآن. ملائكة الله الذين كانوا حاضرين، شهدوا لقيامة الإبن الوحيد (لو ٢٤: ٤)، بطرس ويوحنا، توما وباقي الرسل الذين أسرع بعضهم إلى القبر ورأوا أن اللفائف ـ التي لُفّ بها جسده للدفن ـ كانت مطروحة هناك بعد القيامة (يو ٢٠: ٦)، وآخرون لمسوا يديه ورجليه ورأوا آثار المسامير (لو ٢٤: ٣٩، يو ٢٠: ٢٧) وتلقّوا جميعاً النفخة الخلاصية (يو ٢٠: ٢٢) ونالوا جميعاً سلطة غفران الخطايا بقوة الروح القدس (يو ٢٠: ٢٢–٢٣). النساء اللواتي سمعن الزلزال العظيم، ورأين لباس الملاك أبيض كالثلج، وأخذن بقدمي يسوع (متى ٢٨: ٢–٩)، واللفائف التي كان ملفوفاً بها وتركها عند قيامته. ... فـ«طوبى للذين لم يروا وآمنوا».

القديس كيرلس الأورشليمي